

# كيف تكون محبوباً عند الله؟

القرآن

جمع درر ريب  
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ  
أبي عبد الله محمد بن سعيد دسلان  
يحفظه الله تعالى



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا  
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ  
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ  
فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

## إِبْتَاتُ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

﴿فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمَقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانْتَهُم بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾ [٤].

[الصف: ٤].

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [١٤] [البروج: ١٤].

هَذِهِ الْآيَةُ تَضَمَّنَتْ إِبْتَاتَ أَفْعَالِ اللَّهِ -تَعَالَى- نَاشِئَةً عَنِ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ؛ فَنُؤْمِنُ

بِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- يُحِبُّ أَوْلِيَاءَهُ، وَهُمْ يُحِبُّونَهُ.

نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- يُحِبُّ وَيُحَبُّ.

فَهُوَ مَحْبُوبٌ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَوْلِيَآؤُهُ مُحِبُّونَ لَهُ، وَهُمْ مَحْبُوبُونَ لَدَيْهِ، الْمَحَبَّةُ مُتَبَادِلَةٌ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهِيَ مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، لَيْسَتْ مَجَازًا عَنِ الْإِثَابَةِ؛ لِأَنَّ الْإِثَابَةَ شَيْءٌ وَالْمَحَبَّةَ شَيْءٌ آخَرَ، بَلِ الْإِثَابَةُ دَلِيلُ الْمَحَبَّةِ. (\*)

«مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْوُدُّ.»

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [١٤] ﴿[البروج: ١٤].

﴿الْغَفُورُ﴾: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُتَجَاوِزُ عَنْهَا.

﴿الْوُدُّ﴾: مَاخُودٌ مِنَ الْوُدِّ، وَهُوَ خَالِصُ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ بِمَعْنَى: وَادٌّ، وَبِمَعْنَى: مَوْدُودٍ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْكَ مَحَبٌّ وَمَحْبُوبٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فَاللَّهُ عَلَيْكَ وَادٌّ وَمَوْدُودٌ، وَادٌّ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَوْلِيَآؤُهُ يَوَدُّونَهُ يُحِبُّونَهُ، يُحِبُّونَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ وَإِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ.

وَفِي الْآيَةِ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ: الْغَفُورُ، وَالْوُدُودُ، وَصِفَتَانِ: الْمَغْفِرَةُ وَالْوُدُّ.

(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ [الدَّوْرَةُ الْعِلْمِيَّةُ الثَّلَاثَةُ ١٤٣٥ هـ]» (الْمُحَاضِرَةُ الثَّامِنَةُ)، الثَّلَاثَاءُ ٤ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٣٥ هـ | ٤-٢-٢٠١٤ م.

وَالْمَحَبَّةُ ثَابِتَةٌ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ كَمَا هِيَ ثَابِتَةٌ عِنْدَنَا بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ؛  
 احْتِجَاجًا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ثُبُوتَهَا بِالْعَقْلِ؛ فَإِثَابَةُ الطَّائِعِينَ بِالْجَنَّاتِ وَالنَّصْرُ  
 وَالتَّأْيِيدُ وَغَيْرِهِ، هَذَا يَدُلُّ بِلَا شَكٍّ عَلَى الْمَحَبَّةِ، وَنَحْنُ نُشَاهِدُ بِأَعْيُنِنَا وَنَسْمَعُ  
 بِأَذَانِنَا عَمَّنْ سَبَقَ وَعَمَّنْ لَحِقَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَيَّدَ مَنْ أَيَّدَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَنَصَرَهُمْ وَأَثَابَهُمْ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى الْمَحَبَّةِ لِمَنْ أَيَّدَهُمْ وَنَصَرَهُمْ  
 وَأَثَابَهُمْ ﷻ؟! (١) (\*).



(١) «شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين» (١ / ٢٣٨).

(\* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ لِلْعَلَامَةِ ابْنِ عَثِيمِينَ» (المُحَاضِرَةُ: ٢٥)،

الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨ هـ | ٢١-٩-٢٠٠٧ م.

## مَنْزِلَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ لِعِبَادِهِ

«إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ مَمْلُوءَانِ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَكَرَ مَا يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٤]،

[آل عمران: ١٣٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢] [البقرة: ٢٢٢]،

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾ [٤]،

[الصف: ٤]، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٧٦] [آل عمران: ٧٦].

وَقَوْلِهِ فِي ضِدِّ ذَلِكَ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [٢٠٥] [البقرة: ٢٠٥]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [٢٣] [الحديد: ٢٣]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٧]،

[آل عمران: ٥٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [٣٦] [النساء: ٣٦].

وَكَمْ فِي السُّنَّةِ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ كَذَا وَكَذَا»، وَ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كَذَا وَكَذَا»؛ كَقَوْلِهِ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا، ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، وَ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧، ٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَجَّ مَبْرُورًا»<sup>(١)</sup>، وَ «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ: مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»<sup>(٢)</sup>، وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخْصِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَأَضْعَافُ أَضْعَافِ ذَلِكَ.

وَفَرَحُهُ الْعَظِيمُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ فَرَحٍ يَعْلَمُهُ الْعِبَادُ، وَهُوَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِلتَّوْبَةِ وَلِلتَّائِبِ.

فَلَوْ بَطَلَتْ مَسْأَلَةُ الْمَحَبَّةِ لَبَطَلَتْ جَمِيعُ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَلَتَعَطَّلَتْ مَنَازِلُ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا رُوحُ كُلِّ مَقَامٍ وَمَنْزِلَةٍ وَعَمَلٍ، فَإِذَا خَلَا مِنْهَا فَهُوَ مَيِّتٌ لَا رُوحَ فِيهِ، وَنَسَبَتْهَا إِلَى الْأَعْمَالِ كِنْسَبَةِ الْإِخْلَاصِ إِلَيْهَا؛ بَلْ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ؛ بَلْ هِيَ نَفْسُ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ الْإِسْتِسْلَامُ بِالذُّلِّ وَالْحُبِّ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ، فَمَنْ لَا مَحَبَّةَ لَهُ لَا إِسْلَامَ لَهُ أَلْبَتَّةَ؛ بَلْ هِيَ حَقِيقَةُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يَأْلَهُ الْعِبَادُ ذُلًّا، وَخَوْفًا وَرَجَاءً، وَتَعْظِيمًا وَطَاعَةً لَهُ؛ بِمَعْنَى: مَأْلُوهُ، وَهُوَ الَّذِي تَأْلَهُ الْقُلُوبُ، أَي: تُحِبُّهُ وَتَدُلُّ لَهُ.

وَأَصْلُ التَّأْلِهِ التَّعَبُّدُ، وَالتَّعَبُّدُ آخِرُ مَرَاتِبِ الْحُبِّ، يُقَالُ: عَبْدَهُ الْحُبُّ وَتَيْمَمَهُ: إِذَا مَلَكَهُ وَذَلَّلَهُ لِمَحْبُوبِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٩٩٠)، وابن حبان (٣٥٤)، والطبراني

(٣٢٣/١١) (١١٨٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٦٠) من حديث

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ، كَمَا

يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عِزَّتُهُ».



فَ«الْمَحَبَّةُ» حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ، وَهَلْ تُمْكِنُ الْإِنَابَةُ بِدُونِ الْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا،  
وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ!

وَهَلِ الصَّبْرُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا صَبْرُ الْمُحِبِّينَ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُتَوَكَّلُ عَلَى الْمَحْبُوبِ  
فِي حُصُولِ مَحَابَّتِهِ وَمَرَاضِيهِ!

وَكَذَلِكَ الزُّهْدُ فِي الْحَقِيقَةِ: هُوَ زُهْدُ الْمُحِبِّينَ؛ فَإِنَّهُمْ يَزْهَدُونَ فِي مَحَبَّةِ مَا  
سِوَى مَحْبُوبِهِمْ لِمَحَبَّتِهِ!

وَكَذَلِكَ الْحَيَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ: إِنَّمَا هُوَ حَيَاءُ الْمُحِبِّينَ؛ فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ  
الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ، وَأَمَّا مَا لَا يَكُونُ عَنْ مَحَبَّةٍ فَذَلِكَ خَوْفٌ مَحْضٌ.

وَكَذَلِكَ مَقَامُ الْفَقْرِ؛ فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ فَقْرُ الْأَرْوَاحِ إِلَى مَحْبُوبِهَا، وَهُوَ أَعْلَى  
أَنْوَاعِ الْفَقْرِ؛ فَإِنَّهُ لَا فَقْرَ أَتَمَّ مِنْ فَقْرِ الْقَلْبِ إِلَى مَنْ يُحِبُّهُ؛ لَا سِيمًا إِذَا وَحَدَهُ فِي  
الْحُبِّ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ عَوْضًا سِوَاهُ، هَذَا حَقِيقَةُ الْفَقْرِ عِنْدَ الْعَارِفِينَ.

وَكَذَلِكَ الْغِنَى هُوَ غِنَى الْقَلْبِ بِحُصُولِ مَحْبُوبِهِ.

وَكَذَلِكَ الشَّوْقُ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- وَلِقَائِهِ؛ فَإِنَّهُ لُبُّ الْمَحَبَّةِ وَسِرُّهَا.

فَمُنْكَرُ الْمَحَبَّةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَمُعْطَلُهَا مِنَ الْقُلُوبِ: مُعْطَلٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَحِجَابُهُ  
أَكْثَفُ الْحُجُبِ، وَقَلْبُهُ أَقْسَى الْقُلُوبِ، وَأَبْعَدُهَا عَنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>. (\*)



(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٩٣-٣٩٤).

(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «خُلَاصَةُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (الْمُحَاضِرَةُ: ٤٨)، الْأَرْبَعَاءُ ٢٢ مِنْ شَعْبَانَ

## السَّعْيُ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ -تَعَالَى- مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الَّتِي يَنَالُهَا الْعَبْدُ، فَبِذَلِكَ يَنَالُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِهَا يُوفَّقُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْعَمَلِ، وَيُعَصِّمُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الزَّلَلِ، فَمَحَبَّةُ اللَّهِ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي يَتَنَافَسُ لِأَجْلِهَا الصَّالِحُونَ وَالْمُحْسِنُونَ؛ لِيَنَالُوا الْقُرْبَ مِنْ رَبِّهِمْ، وَالْفَوْزَ بِمَرْضَاتِهِ، وَقَدْ كَانَ رَجَاءُ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ مِنْ دُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ وَخَاصَّةً خَاتِمِهِمْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»<sup>(١)</sup>. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.



(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢٣٥) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ (٢٢١٦٢)، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي

«صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (٣٢٣٥).

## لَيْسَ الشَّانُ أَنْ تُحِبَّ، وَإِنَّمَا الشَّانُ أَنْ تُحَبَّ!

إِنَّ الشَّانَ لَيْسَ فِي أَنْ تُحِبَّ، وَإِنَّمَا الشَّانُ أَنْ تُحَبَّ؛ لِأَنَّكَ إِنْ أَحْبَبْتَ وَلَمْ تُحَبَّ فَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ، فَمَنْ أَحَبَّ وَلَمْ يُحَبَّ فَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ.

وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا نَبِيُّنا ﷺ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ؛ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحَبَّ وَلَمْ يُحَبَّ فَهُوَ فِي عَذَابٍ وَاصِبٍ، وَهُوَ فِي هَمٍّ نَاصِبٍ، وَالسُّنَّةُ قَدْ أَظْهَرَتْ لَنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ، مِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»<sup>(١)</sup> بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَهِيَ أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي - جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ أَمَا إِنِّي مَا أُعِيبُ عَلَيْهِ شَيْئًا فِي خُلُقِي وَلَا دِينِي؛ وَلَكِنِّي أكره الكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟».

قَالَتْ: «نَعَمْ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِثَابِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقْبَلِ الْحَدِيثَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً».

فَافْتَدَتْ هِيَ نَفْسَهَا مِنْ رَجُلٍ لَا تَعِيبُ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَا فِي خُلُقِهِ وَلَا فِي دِينِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧٣).

وَتَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ رضي عنه مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، بَشَّرَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه بِأَنَّهُ يَحْيَا حَمِيدًا، وَيَمُوتُ شَهِيدًا، وَأَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، فَشَهِدَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ رضي عنه، وَشَهِدَ لَهُ بِالْجَنَّةِ رضي عنه، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَوْلَهُ فِي الَّذِينَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ فَوْقَ صَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، وَالَّذِينَ يَجْهَرُونَ لِلنَّبِيِّ صلوات الله عليه بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ؛ ظَنَّ تَابِتٌ -وَكَانَ بِهِ ثِقَلٌ فِي السَّمْعِ، فَكَانَ عَالِي الصَّوْتِ، وَهُوَ كَانَ رضي عنه مَرْزُوقًا حُسْنَ الصَّوْتِ وَجَمَالَهُ، وَكَانَ خَطِيبَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، فَكَانَ يَخْطُبُ إِذَا جَاءَتِ الْوُفُودُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صلوات الله عليه؛ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَوْلَهُ ذَلِكَ ظَنَّ تَابِتٌ رضي عنه أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْوَعِيدِ: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، فَقَالَ: حَبِطَ عَمَلِي؛ لِأَنِّي أَرْفَعُ صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

فَقَالَ: حَبِطَ عَمَلِي، حَبِطَ عَمَلِي، وَاعْتَزَلَ النَّاسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا افْتَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الْخَبِيرُ.. افْتَقَدَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه تَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ»، فَاتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟».

فَقَالَ: «شَرٌّ؛ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، -وَفِي رِوَايَةٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «أَذْهَبُ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ

أَهْلُ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

فَقَالَ: بَلِ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَبَشِّرْهُ أَنَّكَ تَحْيَا حَمِيدًا، وَتَمُوتُ شَهِيدًا، وَأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ جَاءَتْ امْرَأَتُهُ لَا تُطِيقُهُ، وَقَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَدَأًا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ - هَذَا مَوْضُوعُ الْقَضِيَّةِ الَّتِي تَعْرِضُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ؛ مَا لَهُ؟ - قَالَتْ: أَمَا إِنِّي مَا أَعِيبُ عَلَيْهِ - لَا أَعْتَبُ عَلَيْهِ، لَا أَنْقُمُ عَلَيْهِ - شَيْئًا فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ - فَأَمَّا خُلُقُهُ فَمِنْ أَكْمَلِ الْخُلُقِ، وَأَمَّا دِينُهُ فَأَمْتَنُ دِينٍ يَكُونُ -، وَمَعَ ذَلِكَ أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ».

وَالْكُفْرُ هُنَا: هُوَ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «يَكْفُرُنَّ» يَعْنِي: يَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ.

فَخَافَتْ هِيَ مِنْ هَذَا التَّقْصِيرِ، وَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ مُقَرَّرَةً: إِنَّهَا لَا تُطِيقُ هَذَا الرَّجُلَ الصَّالِحَ، وَلَيْسَ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ، لَا فِي خُلُقٍ وَلَا فِي دِينٍ، وَإِنَّهَا لَتَفْتَدِي نَفْسَهَا مِنْهُ بِالْمَهْرِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَيْهَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟».

قَالَتْ: «نَعَمْ».

فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبُولِهَا، وَأَنْ يُطَلِّقَهَا، فَقَالَ: «اقْبَلِ الْحَدِيثَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ!

أَقْوَامٌ أَدْعُوا مَحَبَّةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ يَأْتُوا بِدَعْوَى فَارِغَةٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ يُقَامَ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ عَلَى صِدْقِ الْمُدَّعَى، فَإِذَا مَا قَامَتِ الدَّعْوَى عَلَى سَاقَيْنِ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلِيلٍ؛ فَإِنَّهُ -حِينَئِذٍ- تُؤْتِي أَكْلَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُحِبُّ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ الْعَبْدَ إِذَا أَتَى بِالْبُرْهَانِ، وَهُوَ مُتَابِعَةُ النَّبِيِّ ﷺ.

فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ!

وَأَنْتَ إِذَا مَا أَحْبَبْتَ وَلَمْ تُحَبَّ فَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ.

وَالْبُرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ -أَيْضًا- فِي الْبُخَارِيِّ<sup>(١)</sup> مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قِصَّةِ مُعَيْثٍ وَبَرِيرَةَ؛ فَإِنَّ مُعَيْثًا كَانَ عَبْدًا لِبَنِي فُلَانٍ -كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وَكَذَا كَانَتْ بَرِيرَةُ أُمَّةً، فَلَمَّا أُعْتِقَتْ صَارَ الْخِيَارُ إِلَيْهَا فِي أَنْ تَظَلَّ تَحْتَهُ وَهُوَ عَبْدٌ، أَوْ أَنْ يُفَارِقَهَا، وَكَانَ قَدْ عَلِقَ قَلْبَهُ بِهَا بِمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهَا بِحَالٍ، فَلَمَّا أَنْ اخْتَارَتْ؛ كَانَ يَدُورُ وَرَاءَهَا فِي الْأَسْوَاقِ -كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُعَيْثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ»؛ لِأَنَّهَا قَدِ اخْتَارَتْ عَلَيْهِ، وَلَمْ تُرِدْهُ؛ حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَجِبَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَعَجَبَ مِنْهُ، فَقَالَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا عَبَّاسُ! أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُعَيْثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بَغْضِ بَرِيرَةَ مُعَيْثًا!».

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

حَتَّىٰ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَحِمَةً بِهِ شَفَعَ لَهُ عِنْدَهَا، فَقَالَ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ»: أَلَا تَرْجِعِينَ إِلَيْهِ؟!

قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَأْمُرْنِي؟».

قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ».

قَالَتْ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ».

فَيَدُورُ وَرَاءَهَا فِي السَّكِّ، وَفِي الطَّرُقَاتِ وَالْأَسْوَاقِ، مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ يَسِيلُ قَلْبُهُ دُمُوعًا عَلَىٰ وَجْتَيْهِ، ثُمَّ تَخْضَلُ لِحْيَتَهُ مِنْ أَثَرِ مَدَامِعِهِ بِدُمُوعِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يُصَادِفُ ذَلِكَ -بِقَدْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ- فِي قَلْبِهَا اسْتِجَابَةً، وَلَا حُنُوءًا عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهَُا كَانَتْ لَهُ زَوْجًا!

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ هَذَا هُوَ مَوْطِنُ الْعَجَبِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُعَيْثِ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُعَيْثًا!!»، فَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَرَّرُوا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحِبَّ إِنْسَانٌ إِنْسَانًا وَأَنْ يُبْغِضَهُ الْمَحْبُوبُ، بَلْ إِذَا مَا أَحَبَّهُ هَذَا أَحَبَّهُ تِلْوًا؛ لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»<sup>(١)</sup>. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالُوا: لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ إِنَّ مَوْطِنَ الْعَجَبِ فِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ هَذَا الْبُغْضَ مِنْ بَرِيرَةَ لِمُعَيْثٍ مَعَ مَا كَانَ مِنْ اتِّتْلَافٍ بِزَوْاجٍ وَقَدْ كَانَ لَهَا زَوْجًا، ثُمَّ إِنَّهُ يُحِبُّهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٦)، ومسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هَذَا الْحُبُّ كُلُّهُ، وَمَعَ ذَلِكَ هِيَ تُبْغِضُهُ هَذَا الْبُغْضُ كُلُّهُ، «وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» (١).

فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ!



(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:  
«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ  
يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»،  
وفي رواية: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».



أَعْظَمُ سُبُلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ

الإنسان - كما هو معلوم - لا يستطيع أن يتحصل على محبة الله تبارك وتعالى إلا بأسبابها.

ومن أسباب تحصيل محبة الله تبارك وتعالى للعبد: أن يكون متابعاً لرسول الله ﷺ، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣].

فعلق الله تبارك وتعالى في هذا الشرط الجزاء على الفعل، فمن اتبع النبي ﷺ أحبه الله تبارك وتعالى، ومن أحبه الله تبارك وتعالى كفاه أمر نفسه، ولم يكله إلى نفسه طرفة عين؛ إذ يكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، كما قال - سبحانه -، وذلك مخرَّب على محبة الله رب العالمين للعبد، وثمره من ثمرات محبة الله رب العالمين للعبد.

فلا بد من متابعة النبي ﷺ؛ لتحصيل هذا المقصد الكبير، وهذه النعمة الجليلة التي هي من أكبر النعم إن لم تكن أكبرها؛ لأن الله رب العالمين لا يحب إلا المتقين، لا يحب إلا المحسنين، لا يحب إلا المطهرين،

لَا يُحِبُّ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَهْلَ الْخُبْثِ، وَلَا يُحِبُّ أَهْلَ الْخَبَائِثِ، وَلَا يُحِبُّ أَهْلَ الْفُحْشِ وَلَا أَهْلَ الْفَوَاحِشِ.

فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُسْتَحِقًّا لِأَنْ يُحِبَّ!

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْآيَةَ الَّتِي قَالَ الْعُلَمَاءُ: «إِنَّهَا آيَةُ الْمِحْنَةِ، أَوْ آيَةُ الْإِخْتِبَارِ»؛ لِأَنَّ أَقْوَامًا يَدْعُونَ مَحَبَّةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذِهِ الْآيَةَ امْتِحَانًا وَاجْتِبَارًا؛ مِنْ أَجْلِ تَقْدِيمِ الدَّلِيلِ وَإِقَامَةِ الْبُرْهَانِ عَلَى صِدْقِ الدَّعْوَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَوْلَهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ مِنْ تَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَسْبَابِهَا، وَأَوَّلَ ذَلِكَ أَنْ يَجْتَهِدَ الْإِنْسَانُ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَقِيدَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا؛ أَلَّا يَأْتِيَ بِالتَّمْثِيلِ وَلَا التَّعْطِيلِ، وَأَلَّا يَأْتِيَ بِالتَّجْسِيمِ وَلَا بِالتَّشْبِيهِ، أَلَّا يَأْتِيَ بِالْغُلُوبِ وَأَلَّا يَأْتِيَ بِالْجَفَاءِ، أَلَّا يَكُونَ خَارِجِيًّا، وَأَلَّا يَكُونَ مُرْجِيًّا، وَأَلَّا يَكُونَ مُؤَوَّلًا وَلَا مُشَبَّهًا وَلَا مُجَسَّمًا.

وَإِنَّمَا يَكُونُ آتِيًّا بِالْعَقِيدَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَعْرِفُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُطِيعُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، آخِذًا بِأَسْبَابِهِ، فَلَا يَكُونُ جَبْرِيًّا يَتَوَاكَلُ قَائِلًا: إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا قُدْرٌ، وَيَحْتَجُّ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَعَاصِي، وَلَا يَكُونُ قَدْرِيًّا فَيَجْعَلُ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ نَافِذَةً، وَلَا مَشِيئَةَ لِرَبِّهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ الَّتِي عَلَيْهِ يَسِيرُ أَهْلُ السُّنَّةِ.

فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُتَابِعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عَقِيدَتِهِ، فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْوَحْيِ مِنْ رَبِّهِ، فِيمَا دَلَّ بِهِ عَلَى أَسْمَاءِ رَبِّهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ، وَمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ نَهْيٍ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ.

يَأْتِي الْإِنْسَانُ بِالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَقِيدَةِ، وَفِي الْقَوْلِ؛ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُوَافِقُ الشَّرْعَ، مُتَابِعًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَجْهَلُ -يَعْنِي: يَتَكَلَّمُ حَتَّى فِي الْغَضَبِ بِالْكَلِمَةِ الْعَوْرَاءِ-، حَاشَا وَكَلَّا، بَلْ كَانَ سَدِيدَ الْمَنْطِقِ، مُؤَيَّدًا مُسَدَّدًا ﷺ، يَعْرِفُ ذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ كَمَا يَعْرِفُهُ أَوْلِيَائُهُ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ كَمَا يَشْهَدُ بِهِ أَوْلِيَائُهُ؛ حَتَّى إِنَّ الْيَهُودَ لَمَّا حَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْرَاكُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ؟!».

قَالُوا: «مَا عَهْدُنَاكَ جَهُولًا يَا أَبَا الْقَاسِمِ» ﷺ؛ يُرِيدُونَ بِالْجَهْلِ هُنَا الْجَهْلَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْحِلْمِ.

فَقَالُوا: «مَا عَهْدُنَاكَ جَهُولًا يَا أَبَا الْقَاسِمِ»، أَمَّا مَنْطِقُكَ فَالْمَنْطِقُ السَّيِّدُ، يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْهُ.

فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ مُتَابِعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عَقِيدَتِهِ، وَفِي قَوْلِهِ؛ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَوْرَاءِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُسَدَّدًا فِي مَنْطِقِهِ، صَابِقًا فِي قَوْلِهِ، بَعِيدًا عَنِ الْخَنَا وَالْفُحْشِ، وَيَجْتَهِدُ أَنْ يَكُونَ مُتَابِعًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِفْظِ الْمَنْطِقِ وَاللِّسَانِ.

الْيَهُودُ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يَعْلَمُهُ أَوْلِيَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُحِبُّوهُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرُّوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ»، وَالسَّامُ: الْمَوْتُ.

قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ».

وَأَمَّا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَلَمْ تَحْتَمِلْ، قَالَتْ: «السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَتْ: «السَّامُ عَلَيْكُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَهُ».

وَمَا قَالَتْ إِلَّا حَقًّا وَصِدْقًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ».

قَالَتْ: «أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!».

قَالَ: «أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَرْشَدَهَا فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! لَمْ يَدْخُلِ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(١)</sup>. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَنْبَغِي أَنْ تُتَابِعَ النَّبِيَّ ﷺ بَدَأَ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠١)، ومسلم (٢١٦٥).

فِي عَقِيدَتِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ أَرْسَلَ بِهَذَا الْأَمْرِ كَمَا أَرْسَلَ النَّبِيُّونَ وَالْمُرْسَلُونَ لِتَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَتَتَابَعُ النَّبِيَّ ﷺ فِي عَقِيدَتِهِ!

وَتَتَابَعُ النَّبِيَّ ﷺ فِي قَوْلِهِ!

وَتَتَابَعُ النَّبِيَّ ﷺ فِي فِعْلِهِ!

وَتَتَابَعُ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَخْلَاقِهِ وَفِي سُلُوكِهِ ﷺ!

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾.

إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يُحْصَلَ الْكِفَايَةِ، وَالْأَيُّ يَكِلُهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ أَسْبَابِ مَحَبَّةِ الرَّبِّ لَهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا تَابَعَ الْعَبْدُ نَبِيَّهُ ﷺ أَحَبَّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾.



## جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ  
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

وَصِفَةُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِكِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسُنَّةِ سَيِّدِ  
الْمُرْسَلِينَ ﷺ. (\*)

«يُخْبِرُ - تَعَالَى - أَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ مَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ  
شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ، وَأَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا مُخْلِصِينَ وَرِجَالًا صَادِقِينَ قَدْ تَكَفَّلَ

(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبِيدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبِ ١٤٢٩ هـ | ١٨-٧ -

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بِهَدَايَتِهِمْ، وَوَعَدَ بِالْإِتْيَانِ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ الْخَلْقِ أَوْصَافًا، وَأَقْوَاهُمْ نُفُوسًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا؛ أَجَلَ صِفَاتِهِمْ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ هِيَ أَجَلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، وَأَفْضَلُ فَضِيلَةٍ تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا يَسَّرَ لَهُ الْأَسْبَابَ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَوَفَّقَهُ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْوَدَادِ.

وَمِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَّصِفَ بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

كَمَا أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: أَنْ يُكْثِرَ الْعَبْدُ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ اللَّهِ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ».

وَمِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ اللَّهِ: مَعْرِفَتُهُ -تَعَالَى-، وَالْإِكْتِثَارُ مِنْ ذِكْرِهِ؛ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ بَدُونِ مَعْرِفَةٍ بِاللَّهِ نَاقِصَةٌ جِدًّا، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا قَبْلَ مِنْهُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ، وَغَفَرَ لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ: أَنَّهُمْ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَهَمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ

أَذَلَّةً مِنْ مُحِبَّتِهِمْ لَهُمْ، وَنُصْحِهِمْ لَهُمْ، وَلِينِهِمْ وَرِفْقِهِمْ وَرَأْفَتِهِمْ وَرَحْمَتِهِمْ بِهِمْ، وَسُهُوَلَةَ جَانِبِهِمْ، وَقُرْبَ الشَّيْءِ الَّذِي يُطْلَبُ مِنْهُمْ، وَعَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ، الْمُعَانِدِينَ لِآيَاتِهِ، الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ أَعَزَّةً، قَدْ اجْتَمَعَتْ هَمَمُهُمْ وَعَزَائِمُهُمْ عَلَى مُعَادَاتِهِمْ، وَبَدَلُوا جُهْدَهُمْ فِي كُلِّ سَبَبٍ يَحْصُلُ بِهِ الْإِنْتِصَارُ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فَالْغِلْظَةُ الشَّدِيدَةُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ مِمَّا يُقَرِّبُ الْعَبْدَ إِلَى اللَّهِ، وَيُؤَافِقُ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي سَخَطِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَمْنَعُ الْغِلْظَةُ عَلَيْهِمْ وَالشَّدَّةُ دَعْوَتَهُمْ إِلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَتَجْتَمِعُ الْغِلْظَةُ عَلَيْهِمْ، وَاللِّينُ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ مَصْلَحَتِهِمْ، وَنَفْعُهُ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾، بَلْ يُقَدِّمُونَ رِضَا رَبِّهِمْ، وَالْخَوْفَ مِنْ لَوْمِهِ عَلَى لَوْمِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ هَمَمِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ؛ فَإِنَّ ضَعِيفَ الْقَلْبِ ضَعِيفُ الْهَمَّةِ، تَنْتَقِضُ عَزِيمَتُهُ عِنْدَ لَوْمِ اللَّائِمِينَ، وَتَفْتَرُّ قُوَّتُهُ عِنْدَ عَدْلِ الْعَاذِلِينَ، وَفِي قُلُوبِهِمْ تَعَبُدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِحَسَبِ مَا فِيهَا مِنْ مُرَاعَاةِ الْخَلْقِ، وَتَقْدِيمِ رِضَاهُمْ وَلَوْمِهِمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَلَا يَسْلَمُ الْقَلْبُ مِنَ التَّعَبُّدِ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ حَتَّى لَا يَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

وَلَمَّا مَدَحَهُمْ -تَعَالَى- بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْمَنَاقِبِ الْعَالِيَةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِمَا لَمْ يُدَكَّرْ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ؛ أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ؛ لِئَلَّا يُعْجَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلِيَشْكُرُوا الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ لِيَزِيدَهُمْ



مِنْ فَضْلِهِ، وَلَيَعْلَمَ غَيْرُهُمْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ - تَعَالَى - لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ أَي: وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، جَزِيلُ الْمَنَنِ، قَدْ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُوسِّعُ عَلَيَّ أَوْلِيَائِهِ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِمْ؛ وَلَكِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَضْلَ فَيُعْطِيهِ؛ فَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ أَصْلًا وَفَرَعًا» (١).

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صِفَاتِهِمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَوَّلِ الصِّفَاتِ عِنْدَهُمْ: أَنَّهُمْ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ: خَدِّي مَدَاسُ لَكَ حَتَّى تَرْضَى، كَمَا كَانَ الشَّانُ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمَّا عَيَّرَ بِلَالًا بِسَوَادِ أُمِّهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ» (٢).

وَلَمْ يَقْبَلْ أَبُو ذَرٍّ رِضْوَانَهُ إِلَّا أَنْ يَعْتَذَرَ اعْتِدَارًا لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَنَاقَلُونَهُ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَسَيَظْلُونَ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَقْسَمَ لِيَطَّانَ عَلَى خَدِّهِ بِنَعْلِهِ؛ خَدِّي مَدَاسُ لَكَ حَتَّى تَرْضَى؛ لِيُكْفَرَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ فِي قَوْلِهِ لَهُ: «يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ»، وَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا

النِّتْيُ جِهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحریم: ٩].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وَالْمُؤْمِنُونَ أَصْحَابُ الْعِزَّةِ وَإِنْ كَانُوا قَلَّةً، كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أُضْيَقِهِ»<sup>(١)</sup> وَإِنْ كُنْتُمْ قَلَّةً؛ لِأَنَّكُمْ أَهْلَ عِزَّةٍ.

وَأَمَّا هُمْ وَأَمَّا نَحْنُ فَبَشَّرْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَمَّا الْعِزُّ وَالذُّلُّ فَاتَىٰ بِهِ الْإِيمَانُ وَالْكَفْرُ، أَتَىٰ الْإِيمَانَ بِالْعِزِّ، كَمَا أَتَىٰ الْكُفْرَ بِالْمَذَلَّةِ لِلْكَافِرِينَ.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنَ بِأَنْ يَسْتَعْلِيَ بِإِيمَانِهِ، وَأَنْ يَقْصِدَ إِلَىٰ سَوَاءِ الطَّرِيقِ، وَأَنْ يَضْطَرََّ الْكَافِرَ إِلَىٰ أُضْيَقِهِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ عَلَىٰ أَمْرِ دِينِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَجَلَالِ الْأَمْرِ الَّذِي جَعَلَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَمْنُونًا بِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ هَذَا الْإِيمَانُ الْعَظِيمُ، إِذَا مَا أَحْسَسَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِحْسَاسًا صَادِقًا؛ عَلِمَ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ أَكْرَمَهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَعْلَىٰ شَأْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ ﷺ.

فَبَيَّنَّ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وَهُوَ الدَّلَالَةُ الصَّادِقَةُ وَالشَّمْرَةُ النَّاصِحَةُ لِلْإِيمَانِ الْحَقِّ، تَطَهَّرُ عَلَى الْجَوَارِحِ بَذَلًا وَعَطَاءً لِلرُّوحِ وَلِلنَّفْسِ وَالنَّفْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالسِّنَانِ وَبِاللِّسَانِ وَبِالْبَنَانِ، فَيُجَاهِدُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِالسِّنَانِ،

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أُضْيَقِهِ».

وَيُجَاهِدُونَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالشُّبُهَاتِ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ وَالْبَنَانِ، فَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِكُلِّ صُورَةٍ مُمْكِنَةٍ.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ إِلَّا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَلَا يَبْحَثُونَ عَنْ رِضَا النَّاسِ عَلَيْهِمْ بِسَخَطِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، «مَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْوَنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُعَامِلُ الْعَبْدَ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ.

فَبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِفَاتِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.



(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) واللفظ له، وابن حبان (٢٧٦) باختلاف يسير، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي (٢٤١٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ:  
أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الْمَعْرُوفِ بِـ «حَدِيثِ الْأَوْلِيَاءِ» الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ»<sup>(١)</sup>، فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُعَادَاةَ أَوْلِيَائِهِ مُعَادَاةً لَهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْحَرْبَ الْمَشْنُونَةَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ حَرْبًا عَلَيْهِ؛ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُعْلِمُ مَنْ آذَى أَوْلِيَاءَهُ جَلَّ وَعَلَا بِالْحَرْبِ مَشْنُونَةً مُعْلَنَةً عَلَيْهِ «مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ» أَي: أَعْلَمْتُهُ بِهَا.

وَالْوَلِيُّ لَا يُعْرَفُ بِرِسْمٍ، وَلَا اسْمٍ، وَلَا بِشَارَةٍ، وَلَا بِحَرَكَةٍ، وَلَا بِدَلٍّ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ الْوَلِيُّ بِخَصْلَتَيْنِ بَيْنَهُمَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُسْتَنْبَطًا مِنَ الْآيَةِ: «كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ هُوَ اللَّهُ وَلِيُّ»، فَالْوَلِيُّ لَا يُعْرَفُ بِاسْمِهِ، وَلَا يُعْرَفُ بِرِسْمِهِ، وَلَا يُعْرَفُ بِشَيْبِهِ، وَلَا يُعْرَفُ بِصَوْمَعَتِهِ، وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ هُوَ اللَّهُ وَلِيُّ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٦٢)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

(١) تقدم تخريجه.

فَبَيَّنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ الْأَوْلِيَاءَ بِصِفَتِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ التَّقِيَّ هُوَ اللَّهُ وَلِيُّ.

وَعَلَيْهِ؛ تَعَلَّمَ سَفَهَ وَشَرِكَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِي بَعْضِ الْخَلْقِ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَنْزِلُونَ بِهِمُ الْحَاجَاتِ، فَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُمْ مَا لَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، وَهَذَا الزَّيْفِ الزَّائِفِ، وَهَذَا الشَّرْكَ الْمُعْلَنِ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ صِفَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَقَصَرَ ذَلِكَ عَلَى صِفَتَيْنِ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ هُوَ اللَّهُ وَلِيُّ.

«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ»، ثُمَّ بَيَّنَّ لَنَا رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يَكِلُ مَنْ أَحَبَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، بَلْ يُسَدِّدُهُ؛ يُسَدِّدُ بَصَرَهُ، وَيُسَدِّدُ سَمْعَهُ، وَيُسَدِّدُ يَدَهُ وَيَبْطِشُهُ، وَيُسَدِّدُ رِجْلَهُ وَمَشْيَهُ وَسَعْيَهُ، كَمَا بَيَّنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذَا بِالنَّتِيجَةِ الَّتِي يَتَحَصَّلُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ إِذَا مَا أَكْثَرَ مِنَ النُّوَافِلِ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنُّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ - وَهَذَا فِي تَحْصِيلِ الْمَحْجُوبِ -، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ - وَهَذَا فِي الْوِقَايَةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ -»، فَجَعَلَ لَهُ الْخَيْرَ بِحَذَائِفِرِهِ لَمَّا أَتَى بِمُوجِبِ مَحَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَازِمِهَا.

فَكَمَا أَنَّ مُتَابَعَةَ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ الْبَابُ الْوَسِيعُ لِتَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ؛ فَايْضًا: الْإِتْيَانُ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ الْفَرَائِضِ، ثُمَّ شَفَعُ ذَلِكَ بَعْدَ الْإِكْتَارِ مِنَ النَّوَافِلِ .. سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْكِفَايَةِ بِالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثَمَرَةً وَنَتِيجَةً.

وَقَدْ بَيَّنَّ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الْأَعْمَالَ تَتَفَاوَضُ فِي جِنْسِهَا؛ فَلَيْسَتْ الْفَرَائِضُ كَالنَّوَافِلِ، فَجِنْسُ الْفَرَائِضِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ جِنْسِ النَّوَافِلِ، ثُمَّ إِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَتَفَاوَضُ بِالنَّوْعِ؛ فَالصَّلَاةُ مِنَ الْفَرَائِضِ هِيَ أَفْضَلُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهِيَ - أَيْضًا - تَتَفَاوَضُ نَوْعًا كَمَا تَفَاوَضَتْ جِنْسًا.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيَّنَّ لَنَا أَنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِأَحَبِّ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِ؛ أَنْ يُؤَدِّيَ الْإِنْسَانُ مَا فَرَضَ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ، يَأْتِي بِهَا مُقِيمًا إِيَّاهَا كَمَا جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ جَاهِلًا بِفَرَائِضِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ غَيْرَ عَارِفٍ بِكَيْفِيَّةِ أَدَائِهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا؛ بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ آتِيًا بِهَا أَصْلًا، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِلْمُسِيِّءِ فِي صَلَاتِهِ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَجَعَلَهُ غَيْرَ آتٍ بِالْفَرِيضَةِ أَصْلًا: «فإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ مَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ حَتَّى يُؤَدِّيَهُ كَمَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَإِذَا مَا أَتَى بِذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ النَّوَافِلِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، «وَمَا يَزَالُ»: وَهَذَا مِنْ أَفْعَالِ الْإِسْتِمْرَارِ، «وَمَا يَزَالُ عِبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ

بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا».

أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَالتَّعْطِيلِ أَرَادُوا أَنْ يَحْتَجُّوا عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالُوا: أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ تُوَوَّلُونَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: «كُنْتُ سَمِعَهُ»، فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تُوَوَّلُونَ فَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ سَمِعَ الْعَبْدِ، وَبَصَرَهُ، وَيَدَهُ، وَرِجْلَهُ، فَأَنْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا أَنْ تَجْعَلُوا ذَلِكَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، فَتَكُونُوا - حِينَئِذٍ - مِنَ الْمُجَسِّمِينَ.

وَإِمَّا أَنْ تُوَوَّلُوا كَمَا تُوَوَّلُ وَلَوْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

وَعَلَيْهِ؛ فَيُفْتَحُ الْبَابُ أَمَامَ الْمُؤَوَّلِينَ لِلتَّأْوِيلِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ: أَنْتُمْ لَمْ تَفْهَمُوا اللُّغَةَ، وَلَمْ تُحْسِنُوا التَّعَامُلَ مَعَ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: نَأْخُذُ الْأَحَادِيثَ وَالآيَاتِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا؛ مَا هُوَ ظَاهِرٌ هَذَا النَّصِّ؟

هَلْ ظَاهِرُهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْضُ صِفَةِ الْعَبْدِ؟!

السَّمْعُ بَعْضُ صِفَاتِ الْعَبْدِ، وَالبَصَرُ بَعْضُ صِفَاتِ الْعَبْدِ، وَاليَدُ وَالرَّجْلُ أِبْعَاضُ لِلْعَبْدِ؛ فَهَلْ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ إِلَى الدَّهْنِ عِنْدَ السَّمَاعِ؟!

نَحْنُ نَقُولُ - نَحْنُ أَهْلُ السُّنَّةِ - نَقُولُ: إِنَّا نَأْخُذُ النُّصُوصَ عَلَىٰ ظَوَاهِرِهَا الْمُرَادَةِ مِنْ غَيْرِ مَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ مَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ وَلَا تَجْسِيمٍ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللَّهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَظَاهِرُ النَّصِّ هُوَ الْمُتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ السَّلِيمِ عَلَى حَسَبِ السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ  
وَعَلَى حَسَبِ التَّرَاكِبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ هَذَا النَّصُّ الشَّرِيفُ؛ فَإِنَّكَ عِنْدَمَا تَسْمَعُ:  
«كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ»؛ لَا يَتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ الشَّرِيفِ عَلَى حَسَبِ السِّيَاقِ  
وَالتَّرَكِيبِ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقَرُّرُ أَنَّهُ صَارَ بَعْضَ صِفَاتِ الْعَبْدِ؛ وَلَا أَنَّهُ صَارَ  
بَعْضَ أَبْعَاضِ الْعَبْدِ!؟

حَاشَا وَكَوَلَا!

بَلِ الَّذِي يَتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ مِنْ هَذَا النَّصِّ - وَهُوَ ظَاهِرُهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ  
السِّيَاقُ وَالتَّرَكِيبُ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا  
كِتَابَهُ، وَأَنْطَقَ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ - : أَنَّهُ يُسَدِّدُهُ؛ يُسَدِّدُ سَمْعَهُ، «كُنْتُ سَمِعَهُ» بِمَعْنَى: أَنَّهُ  
يَلْتَزِمُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَيُسَدِّدُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَّهُ وَرِجْلَهُ؛ فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ  
النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَلَا يَمْتَدُّ السَّمْعُ إِلَّا إِلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمْتَدَّ السَّمْعُ إِلَيْهِ،  
وَلَا تَمْتَدُّ الْيَدُ إِلَّا إِلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ أَنْ تَمْتَدَّ الْيَدُ إِلَيْهِ، وَلَا تَنْتَقِلُ الرَّجُلُ بِخَطْوٍ إِلَّا  
إِلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ انْتِقَالَ الْخَطْوِ إِلَيْهِ.

فَهَذَا هُوَ التَّسَدِيدُ، وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ النَّصِّ بِلا تَأْوِيلٍ.

وَشَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَقُولُونَ بِنَفْيِ التَّأْوِيلِ مُطْلَقًا، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ:  
التَّأْوِيلُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ هُوَ الدَّلِيلُ.

فَالْأَمْرُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ، فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - سُبْحَانَهُ - يَقُولُ فِي هَذَا  
الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الْعَظِيمِ: «كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ» يَعْنِي: سَدَّدْتُ سَمْعَهُ؛



وَلِذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُقْبِلًا عَلَى سَمَاعِ الْخَنَا فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَحْبُوبًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَيْفَ وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ: «كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ»، وَهَذَا لَا يَفْتَرُ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ وَلَا مَا بَيْنَ ذَلِكَ عَنْ سَمَاعِ الْخَنَا وَالْمُوبِقَاتِ وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ.

وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرٌ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَحْبُوبًا لِلَّهِ لَصَدَقَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ بَصْرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَمْتَدُّ بَصْرُهُ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُقْبِلًا عَلَى النَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرٌ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدْتَهُ بَاطِشًا سَاعِيًا إِلَى الْمُنْكَرَاتِ، مُقْبِلًا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرٌ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَالَ: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا».

وَبَيْنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْرًا كَبِيرًا يَقُولُ: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَالرَّبُّ يَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَ عَبْدَهُ وَمَحْبُوبَهُ، فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، لِيَزْدَادَ مِنْ مَحَابِ مَحْبُوبِهِ، وَاللَّهُ تعالى قَدْ قَضَى بِالْمَوْتِ، فَكُلُّ مَا قَضَى بِهِ فَهُوَ يُرِيدُهُ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ، فَالرَّبُّ مُرِيدٌ لِمَوْتِهِ لِمَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَارَهُ لِمَسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَهِيَ الْمَسَاءَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بِالْمَوْتِ، فَصَارَ الْمَوْتُ مُرَادًا لِلْحَقِّ مِنْ وَجْهِ، مَكْرُوهًا لَهُ مِنْ وَجْهِ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّرَدُّدِ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مُرَادًا مِنْ وَجْهِ مَكْرُوهًا مِنْ وَجْهِ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ كَمَا تَرَجَّحَ

وَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَيْسَتْ عَلَى مَا يَتَبَادَرُ إِلَى الذُّهْنِ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ الْمُتَرَدِّدِينَ الْحَيَارَى، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ هَاهُنَا بَيْنَ أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَمْرٍ مَحْبُوبٍ لِلْعَبْدِ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، لَا بُدَّ أَنْ يَمُوتَ، هَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ وَلَكِنَّ الْعَبْدَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَيُحِبُّ الْحَيَاةَ؛ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ، فَقَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بَيْنَ لَنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ أَنَّ التَّوْفِيقَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا بِتَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ مُوَفَّقًا إِلَّا إِذَا كُنْتَ مَحْبُوبًا مِنْ رَبِّكَ، -كَمَا فِي الْحَدِيثِ-، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا إِذَا حَصَلَتْ أَسْبَابُ الْمَحَبَّةِ، وَمِمَّا ذَكَرَ فِي هَذَا النَّصِّ: أَنْ تَأْتِيَ بِالْفَرَائِضِ وَافِيَةً، ثُمَّ تَأْتِيَ بَعْدَ

إِرَادَةَ الْمَوْتِ؛ لَكِنْ مَعَ وُجُودِ كَرَاهَةِ مَسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ إِرَادَتُهُ لِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ، الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، كإِرَادَتِهِ لِمَوْتِ الْكَافِرِ الَّذِي يُبْغِضُهُ وَيُرِيدُ مَسَاءَتَهُ». انتهى من «مجموع الفتاوى» (١٨ / ١٣١).

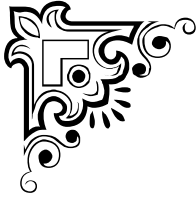
وقال أيضا: «فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمَّا كَرِهَ مَسَاءَةَ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَكْرَهُ الْمَوْتَ، كَانَ هَذَا مُفْتَضِيًا أَنْ يَكْرَهُ إِمَاتَتَهُ مَعَ أَنَّهُ يُرِيدُ إِمَاتَتَهُ؛ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﷻ». انتهى من «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٨٣).

(١) تقدم تخريجه.

ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ كَثِيرَةً، «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ..» جَاءَهُ التَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْكِفَايَةُ - كِفَايَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ-، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ، وَلَهَا أَسْبَابُهَا بِتَحْصِيلِهَا. (\*)



(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٩ هـ | ١٨-٧-



مِنْ سُبُلِ الْفَوْزِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ:  
الْإِحْسَانُ وَالْعَدْلُ وَالتَّقْوَى



مِنْ السُّبُلِ الْعَظِيمَةِ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَفِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿وَأَحْسِنُوا﴾: فِعْلٌ أَمْرٌ، وَالْإِحْسَانُ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا مَنْدُوبًا إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَدَاءُ الْوَاجِبِ فَهُوَ وَاجِبٌ، وَمَا كَانَ زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ.

وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ نَقُولُ: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ فِعْلٌ الْأَمْرِ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ.

وَالْإِحْسَانُ يَكُونُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَيَكُونُ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ؛ فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «مَا الْإِحْسَانُ؟»، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، وَهَذَا أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ يَعْبُدُهُ عِبَادَةً طَلَبَ وَرَغْبَةً، «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(١)</sup> أَي: فَإِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هَذِهِ الْحَالِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَرَاكَ، وَالَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ يَعْبُدُهُ عِبَادَةً خَوْفٍ وَرَهَبٍ؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ مِمَّنْ يَرَاهُ.

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ بِالنِّسْبَةِ لِمُعَامَلَةِ الْخَلْقِ؛ فَقِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ: «بَدَلُ النَّدَى، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ».

«بَدَلُ النَّدَى» أَي: الْمَعْرُوفُ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَالِيًّا، أَوْ بَدَنِيًّا، أَمْ جَاهِيًّا.

«كَفُّ الْأَذَى»: أَلَّا تُؤْذِيَ النَّاسَ بِقَوْلِكَ وَلَا بِفِعْلِكَ.

«وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ»: أَلَّا تَكُونَ عَبُوسًا عِنْدَ النَّاسِ؛ لَكِنْ -أَحْيَانًا- الْإِنْسَانَ يَغْضَبُ وَيَعْبَسُ، فَتَقُولُ: هَذَا لِسَبَبٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِذَا كَانَ سَبَبًا لِمَصْلَاحِ الْحَالِ؛ وَلِهَذَا إِذَا رَجَمْنَا الزَّانِيَّ أَوْ جَلَدْنَاهُ فَهُوَ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ إِحْسَانُ الْمُعَامَلَةِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَالْإِجَارَةِ، وَالنِّكَاحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ إِذَا عَامَلْتَهُمْ بِالطَّيِّبِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ.. صَبَرْتَ عَلَى الْعُسْرِ، وَأَوْفَيْتَ الْحَقَّ بِسُرْعَةٍ؛ هَذَا يُعَدُّ بَدَلُ النَّدَى، فَإِنْ اعْتَدَيْتَ بِالْغِشِّ وَالْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ فَأَنْتَ لَمْ تَكْفُ الْأَذَى؛ لِأَنَّ هَذَا أَذِيَّةٌ.

أَحْسِنُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَإِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: هَذَا تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ، فَهَذَا ثَوَابُ الْمُحْسِنِ؛ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَوَاللَّهِ! إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لَتَشْتَرِي بِالدُّنْيَا كُلِّهَا، وَهِيَ أَعْلَىٰ مِنْ أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ، فَكَوْنُ اللَّهِ يُحِبُّكَ أَعْلَىٰ مِنْ أَنْ تُحِبَّ أَنْتَ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]،

وَلَمْ يَقُلْ: فَاتَّبِعُونِي تَصَدَّقُوا فِي مَحَبَّتِكُمْ لِلَّهِ، مَعَ أَنَّ الْحَالَ تَقْتَضِي هَكَذَا؛  
وَلَكِنْ قَالَ: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الشَّانُ كُلُّ الشَّانِ فِي أَنْ اللَّهُ يُحِبُّكَ، لَا أَنَّكَ  
تُحِبُّ اللَّهَ.

كُلُّ يَدَّعِي أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ؛ لَكِنَّ الشَّانَ فِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ ﷻ؛ هَلْ يُحِبُّكَ  
أَمْ لَا؟

إِذَا أَحَبَّكَ اللَّهُ ﷻ أَحَبَّتْكَ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَكَ الْقَبُولُ فِي  
الْأَرْضِ، فَيُحِبُّكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَيَقْبَلُونَكَ، وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ مِنْكَ، وَهَذِهِ مِنْ  
عَاجِلِ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ.

وَمِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْعَدْلُ فِي مُعَامَلَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، قَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿وَأَقْسَطُوا﴾ أَي: اْعْدِلُوا، وَهَذَا وَاجِبٌ؛ فَالْعَدْلُ وَاجِبٌ فِي كُلِّ مَا تَجِبُ فِيهِ  
التَّسْوِيَةُ.

يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْعَدْلُ فِي مُعَامَلَةِ اللَّهِ ﷻ، يُنْعَمُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالنِّعَمِ؛ فَمِنْ  
الْعَدْلِ أَنْ تَقُومَ بِشُكْرِهِ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ الْحَقَّ؛ فَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ تَتَّبِعَ هَذَا الْحَقَّ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْعَدْلُ فِي مُعَامَلَاتِ الْخَلْقِ؛ أَنْ تُعَامَلَ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ  
يُعَامِلُوكَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ  
النَّارِ وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ

مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

عَامِلِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ؛ مَثَلًا: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَامِلَ شَخْصًا مُعَامَلَةً فَاعْرِضْهَا أَوَّلًا عَلَى نَفْسِكَ: إِذَا عَامَلَكِ إِنْسَانٌ بِهَا؛ فَهَلْ تَرْضَى أَمْ لَا؟ إِنْ كُنْتَ تَرْضَى فَعَامِلُهُ؛ وَإِلَّا فَلَا تُدَافِعُهُ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي الْعَطِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْعَدْلُ بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْمِيرَاثِ؛ فَيُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ، وَلَا يُوصَى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ؛ بِأَنْ تَقْسِمَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا تَقْسِمُ لِلْآخَرَى.

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْعَدْلُ فِي نَفْسِكَ؛ فَلَا تُكَلِّفْهَا مَا لَا تُطِيقُ مِنَ الْأَعْمَالِ، «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(٣)</sup>.

وَعَلَى هَذَا فَاقْسُ!

وَهُنَا يُحِبُّ أَنْ نُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَعْمِلُ بَدَلَ الْعَدْلِ الْمُسَاوَاةَ، وَهَذَا خَطَأٌ، لَا يُقَالُ: مُسَاوَاةٌ؛ لِأَنَّ الْمُسَاوَاةَ قَدْ تَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٨) من حديث وهب بن عبد الله رضي الله عنه.

الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي التَّفْرِيقَ بَيْنَهُمَا.

وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْجَائِرَةِ إِلَى التَّسْوِيَةِ صَارُوا يَقُولُونَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى؟! سَوُّوا بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ!

حَتَّى إِنَّ الشُّيُوعِيَّةَ قَالَتْ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْحَاكِمِ وَالْمَحْكُومِ؟! لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ سُلْطَةٌ عَلَى أَحَدٍ؛ حَتَّى بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، لَيْسَ لِلْوَالِدِ سُلْطَةٌ عَلَى الْوَلَدِ... وَهَلُمَّ جَرًّا.

لَكِنْ إِذَا قُلْنَا بِالْعَدْلِ - وَهُوَ إِعْطَاءُ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ -؛ زَالَ هَذَا الْمَحْذُورُ، وَصَارَتِ الْعِبَارَةُ سَلِيمَةً؛ وَلِهَذَا لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ أَبَدًا عَنِ اللَّهِ يَأْمُرُ بِالتَّسْوِيَةِ، لَكِنْ جَاءَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وَأَخْطَأَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ قَالَ: إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينُ الْمُسَاوَاةِ، بَلْ دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ الْعَدْلِ، وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَسَاوِينَ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُفْتَرِقِينَ؛ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ بِالْمُسَاوَاةِ الْعَدْلَ، فَيَكُونُ أَصَابَ فِي الْمَعْنَى، وَأَخْطَأَ فِي اللَّفْظِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرَ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ نَفْيُ الْمُسَاوَاةِ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].



وَلَمْ يَأْتِ حَرْفٌ وَاحِدٌ فِي الْقُرْآنِ يَأْمُرُ بِالْمَسَاوَاةِ أَبَدًا، إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
وَكَلِمَةُ (الْعَدْلِ) أَيْضًا تَجِدُونَهَا مَقْبُولَةً لَدَى النُّفُوسِ.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ لِلْفَوْزِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ: تَقْوَى اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا  
اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

أَيُّ: مَهْمَا اسْتَقَامَ لَكُمْ الْمُعَاهِدُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ فِي ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ تَقْتَضِي بِمَنْطُوقِهَا: أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَقَامُوا لَنَا وَجَبَ أَنْ  
نَسْتَقِيمَ لَهُمْ، وَأَنْ نُوفِيَ بِعَهْدِهِمْ، وَتَدُلُّ بِمَفْهُومِهَا عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَسْتَقِيمُوا لَنَا  
نَسْتَقِيمُ لَهُمْ.

وَالْمُعَاهِدُونَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

- قِسْمٌ اسْتَقَامُوا عَلَى عَهْدِهِمْ وَأَمَانِهِمْ؛ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَقِيمَ لَهُمْ؛ لِقَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٧].

- وَقِسْمٌ خَانُوا وَنَقَضُوا الْعَهْدَ؛ فَهَؤُلَاءِ لَا عَهْدَ لَهُمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ  
كَثُرُوا آيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبَلُوا آيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَنْ  
أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢].

- وَقِسْمٌ ثَالِثٌ يُظْهِرُونَ الْإِسْتِقَامَةَ لَنَا؛ لَكِنَّا نَخَافُ مِنْ خِيَانَتِهِمْ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ  
تُوجَدُ قَرَائِنٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْخِيَانَةَ، فَهَؤُلَاءِ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَأِمَّا تَخَافُ  
مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] أَيُّ: انبِذْ  
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ فَقُلْ: لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يَنْبِذُ الْعَهْدَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ مُعَاهِدُونَ!؟

قُلْنَا: لِحَوْفِ الْخِيَانَةِ، فَهَوْلَاءِ لَا نَأْمَنُهُمْ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَنْ يُصَبِّحُونَا، فَهَوْلَاءِ نَنْبِذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَا نَحُونُهُمْ مَا دَامَ الْعَهْدُ قَائِمًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَحْنُ نَخَافُ مِنْهُمْ الْخِيَانَةَ، سَنَبَادِرُهُمْ بِالْقِتَالِ؛ قُلْنَا: هَذَا حَرَامٌ، لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى تَنْبِذُوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، هَذَا مِنْ أَحْسَنِ وَأَجْمَعَ مَا يُقَالُ فِي تَعْرِيفِ التَّقْوَى.



## مِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ: التَّوْبَةُ وَالطَّهَارَةُ

وَمِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ -، وَالطَّهَارَةُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

التَّوَابُ: صِيغَةٌ مُبَالَغَةٌ مِنَ التَّوْبَةِ، وَهُوَ كَثِيرُ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَالتَّوْبَةُ: هِيَ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَى طَاعَتِهِ.  
وَشُرُوطُهَا خَمْسَةٌ:

الأوَّلُ: الإِخْلَاصُ لِلَّهِ - تَعَالَى -؛ بِأَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى التَّوْبَةِ مَخَافَةَ اللَّهِ، وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ.

الثَّانِي: النَّدَمُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنَ الذَّنْبِ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ: أَنْ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ.

الثَّالِثُ: الإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ؛ بِتَرْكِهِ إِنْ كَانَ مُحَرَّمًا، أَوْ تَدَارُكِهِ إِنْ كَانَ وَاجِبًا يُمَكِّنُ تَدَارُكَهُ.

الرَّابِعُ: الْعَزْمُ عَلَى الْإِعْوَادِ إِلَيْهِ.

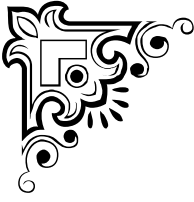
الْخَامِسُ: أَنْ تَكُونَ فِي وَقْتِ تَقْبُلِ فِيهِ التَّوْبَةُ، وَهُوَ مَا كَانَ قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِنْ كَانَتْ بَعْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ أَوْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا لَمْ تُقْبَلْ.  
فَالْتَوَّابُ: كَثِيرُ التَّوْبَةِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَثْرَةَ التَّوْبَةِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الذَّنْبِ، وَمِنْ هُنَا نَفْهَمُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَا كَثُرَ ذَنْبُهُ إِذَا أَحْدَثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- يُحِبُّهُ، وَالتَّائِبُ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ ذَنْبٍ وَاحِدٍ مَحْبُوبٌ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَابِ أَوْلَى؛ لِأَنَّ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَكَثُرَتْ تَوْبَتُهُ يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَمَنْ قَلَّتْ ذُنُوبُهُ كَانَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ بِالتَّوْبَةِ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

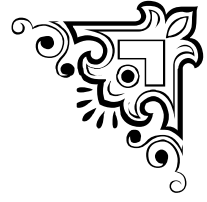
وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: الَّذِينَ يَتَطَهَّرُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَمِنَ الْأَنْجَاسِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَمَا يَجِبُ تَطْهِيرُهُ.

وَهُنَا جَمْعٌ بَيْنَ طَهَارَةِ الظَّاهِرِ وَطَهَارَةِ البَّاطِنِ: طَهَارَةُ البَّاطِنِ بِقَوْلِهِ: ﴿التَّوَّابِينَ﴾، وَالظَّاهِرِ بِقَوْلِهِ: ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.





مِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ:  
الْجِهَادُ وَالتَّلَاحُمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ



قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ﴾

مَرَّضُونَ ﴿٤﴾ [الصف: ٤].

هَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ الصَّفِّ، وَسُورَةِ الصَّفِّ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ سُورَةُ الْجِهَادِ؛  
لِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- بَدَأَهَا بِالثَّنَاءِ عَلَى الْمُقَاتِلِينَ فِي سَبِيلِهِ، ثُمَّ دَعَا إِلَى الْجِهَادِ فِي  
آخِرِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُشْرِكُونَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾: لَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ

وَلَا يَتَأَخَّرُ حَتَّى فِي الْجِهَادِ.

وَالصَّلَاةُ جِهَادٌ مُصَغَّرٌ، فِيهَا قَائِدٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، فَإِنْ لَمْ تَتَّبِعْهُ بَطَلَتْ صَلَاتُكَ؛  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ  
حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ نَظِيرُ الصَّفِّ فِي الْجِهَادِ، وَكَانَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ- يَصُنُّهُمْ فِي الْجِهَادِ كَمَا يَصُنُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ ﴿كَأَنَّهُم بَيْنَ مَرْصُوصٍ  
﴿٤﴾﴾، وَالْبُنْيَانُ -كَمَا قَالَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «يَشُدُّ بَعْضُهُ  
بَعْضًا»<sup>(١)</sup>، يَتَمَاسِكُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَأَنَّهُم بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾﴾،  
فَلَيْسَ كَالْمَفْرَقِ: فَالْمَرْصُوصُ أَشَدُّ تَمَاسِكًا.

فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَّقَ اللَّهُ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ لَهُمْ عِدَّةٌ صِفَاتٍ:  
أَوَّلًا: يُقَاتِلُونَ، فَلَا يَرْكَنُونَ إِلَى الْخُلُودِ وَالْخُمُولِ وَالْكَسَلِ وَالْجُمُودِ الَّذِي  
يُضْعِفُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا.

ثَانِيًا: الْإِخْلَاصُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فِي سَبِيلِهِ﴾.

ثَالِثًا: يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿صَفًّا﴾.

رَابِعًا: أَنَّهُمْ كَالْبُنْيَانِ، وَالْبُنْيَانُ حِصْنٌ مَنِيعٌ.

خَامِسًا: لَا يَتَخَلَّلُهُمْ مَا يُمَزِّقُهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَرْصُوصٍ﴾.

هَذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ عَلَّقَ اللَّهُ الْمَحَبَّةَ لَهُؤُلَاءِ عَلَيْهَا. (\*)



(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.  
(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ لِلْعَلَامَةِ ابْنِ عَثِيمِينَ» (الْمُحَاضِرَةُ: ٢٥)،  
الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨ هـ | ٢١-٩-٢٠٠٧ م.

## مِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ

لَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا نَبِيُّنا ﷺ عِلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ تَحَقُّقِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ؛ فِى الصَّحِيحَيْنِ<sup>(١)</sup> عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: يَا جِبْرِيلُ! إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوه، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءَاتِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ». هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ مِثْلَ مَا مَرَّ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي أَحِبُّ عَبْدِي فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ: يَا أَهْلَ السَّمَاءِ! إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوه، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي أَبْغُضُ عَبْدِي فَلَانًا فَأَبْغِضُهُ، فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيَبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

هَذِهِ عِلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ تَحَقُّقِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧).

وَالْقَبُولُ لَا يَكُونُ بِنَفْيِ الْمُعَادَاةِ، فَهَذَا لَا يُعَدُّ قَبُولًا بِمَرَّةٍ، بَلْ لَعَلَّهُ مِنَ الْبَغْضَاءِ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَمْ يُجْمِعُوا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا حَارَبُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَقَاتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَقَتَلُوهُمْ، وَقَدْ قُتِلَ ذَبْحًا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَنُشِرَ بِالْمِشَارِ زَكَرِيَّا مِنْ مَفْرِقِ رَأْسِهِ إِلَى أَحْمَصِ قَدَمِهِ حَتَّى صَارَ بِنِصْفَيْنِ.

قُتِلَ الْأَنْبِيَاءُ، وَعُدُّبُوا، وَشُرِّدُوا، وَاضْطُهِدُوا، وَأَخْرِجُوا، وَهِيَ سُنَّةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي مَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِ الْأَنْبِيَاءِ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا مَعْلُومٌ؛ حَتَّى إِنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا أَخَذَتْ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ -وَكَانَ قَدْ قَرَأَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَحَنَّتْ وَتَحَنَّفَ يَنْتَظِرُ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ-، فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْوَحْيِ وَمِنْ شَأْنِ جِبْرِيلَ؛ قَالَ: «قُدُوسٌ قُدُوسٌ! هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ».

قَالَ: «أَوْمُخِرْ جِيَّ هُمْ؟!».

قَالَ: «مَا جَاءَ رَجُلٌ قَوْمَهُ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُوْدِي» (١).

فَهَلْ يَتَنَافَى هَذَا مَعَ الْقَبُولِ فِي الْأَرْضِ؟!

وَهَلْ لَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَهُمْ يَقْتُلُونَ، وَهُمْ يُشَرِّدُونَ، يُعَدِّبُونَ، يُضْطَهِدُونَ، يُخْرِجُونَ؟!

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ كَمَا يَظُنُّ النَّاسُ؛ لِأَنَّ الْقَبُولَ الَّذِي يَظُنُّونَهُ هُوَ مَحْضُ النِّفَاقِ وَالْمُصَانَعَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ، وَإِنَّمَا حَمَلُ النَّاسِ وَأَطْرَهُمْ عَلَى الْحَقِّ -وَلَوْ كَانَ مَرًّا- بَيَّانٌ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ «ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

الْحَقُّ عَلَيْهِ نُورٌ..

النُّفُوسُ الْمُكْذِبَةُ تُكْذِبُ -فِي الْغَالِبِ- لِعَوَامِلٍ مِنَ الصَّوَارِفِ عَنِ الْحَقِّ؛ وَمِنْهَا: الْهَوَى، وَالْكِبْرُ، وَالْحَسَدُ، وَالْحِقْدُ!

وَأَنْتَ خَيْرٌ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ الْيَهُودُ يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَيَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﷺ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ جَاءَ بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَبِآخِرِ رِسَالَاتِ اللَّهِ -تَعَالَى- إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَنْ طَرِيقِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، عِنْدَهُمْ صِفَتُهُ وَحَلِيَّتُهُ وَشَيْئُهُ وَنَعْتُهُ: ﴿يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ﷺ، وَمَعَ ذَلِكَ كَذَّبُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ جَحَدُوا الْحَقَّ، وَكَذَّبُوا ظَاهِرًا، وَلَمْ يَكْذِبُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

وَكَفَّارُ قُرَيْشٍ كَانُوا يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ نَعْتُوهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِالصِّدْقِ، وَهُمْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ صِدْقِهِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُخْبِرُهُ بِأَنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَهُ: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]؛ كَفَرُ الْجُحُودِ، كَفَرُ الْعِنَادِ، يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ؛ وَلَكِنَّهُمْ يُطْلِقُونَ الْأَلْسِنَةَ فِي عَرْضِهِ ﷺ.

إِذَا كُنْتَ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَعَلَى الْحَقِّ؛ فَالْقَبُولُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ لِمَا جِئْتَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ الصِّدْقُ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

عَانَدَ مَنْ عَانَدَ، وَكَذَّبَ مَنْ كَذَّبَ، وَحَارَبَ مَنْ حَارَبَ، لَا عَلَيْكَ، «وَيَأْتِي  
النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ» (١).

لَا عَلَيْكَ، وَإِنَّمَا تُؤَدِّي مَا عَلَيْكَ وَلَا عَلَيْكَ!

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

إِذَا كَانَ مِمَّنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فِي الْمُقَابِلِ: مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آتِيًا  
بِأَسْبَابِ تَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ؛ يَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ.

وَلَوْ أَنَّكَ نَظَرْتَ فِي أَحْوَالِ الْأَيِّمَةِ لَوَجَدْتَ الْعَجَبَ.

يَحْسَبُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْقَبُولَ رَهْنٌ بِلِحْظَةِ زَمْنِيَّةٍ زَائِلَةٍ.. لَا، قَدْ لَا  
يَكُونُ الْقَبُولُ مُحْصَلًا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ؛ بَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ أَبْنَاءُ الْفَنَاءِ تَأْتِي مَوْجَةٌ مِنْ  
مَوْجَاتِ الْمَوْتِ لِتَكُنْسَ الْأَرْضَ مِنْ غُثَائِهَا، وَيَبْقَى أَهْلُ الصَّلَاحِ، وَيُخْرِجُ اللَّهُ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَتَّبِعُهُ.

مَنْ نَظَرَ فِي أَحْوَالِ الْأَيِّمَةِ وَتَأَمَّلَ عِلْمًا!

هَذَا هُوَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «قُولُوا لِأَهْلِ الْبِدْعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ  
الْجَنَائِزِ!».

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ رَمَتْهُ الدُّنْيَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، كَانَ يُحَارِبُ  
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي الدَّخْلِ وَالخَارِجِ فِي الثُّغُورِ، كَانَ يُحَارِبُ التَّتَارَ، يُحَارِبُهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بِسِنَانِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ، وَكَانَ يُحَارِبُ الْخُرَافِيَّينَ الْقَبْرِيِّينَ مِنَ الْبَطَاطِحِيَّةِ وَأَضْرَابِهِمْ مِنَ الْمُشْعُوزِيْنَ الْمُمَخْرِقِيْنَ الْمُموْهِينَ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ عَقِيْدَتَهُمْ وَدِيْنَهُمْ، يُحَارِبُ الْفُقَهَاءَ الْجَامِدِيْنَ الْمُتَعَصِّبِيْنَ الَّذِيْنَ لَا يَلْتَزِمُونَ نَهْجَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْهَاجَ النُّبُوَّةِ، يُحَارِبُهُمْ وَيَكِيدُونَ لَهُ، حَتَّى أَدْخَلُوهُ فِي الصَّرَاعِ حَتَّى مَعَ السُّلْطَةِ الزَّمْنِيَّةِ، وَهُوَ لَا يُحَارِبُهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ فِي قَانُونِ أَهْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ: «أَنَّ عَرْشَ الدَّاعِيَةِ حَصِيرَتُهُ».. حَصِيرُ الدَّاعِيَةِ عَرْشُهُ، وَعَرْشُ الدَّاعِيَةِ حَصِيرُهُ، وَكُلَّمَا تَقَلَّلَتْ صِرَتْ مَلِكًا مُتَوَجِّجًا عَلَى هَامَاتِ الْقُلُوبِ، وَأَمَّا إِذَا مَا اسْتَفْزَتْكَ الدُّنْيَا فَارْكَضَتْ فِيهَا رَكْضَةً اسْتَحْلَبَتْكَ حَتَّى اسْتَنْزَفَتْكَ!

فَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ قَدْ سَعَى مِنْ سَعَى لِلْإِيْقَاعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَةِ الزَّمْنِيَّةِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَتَوَرَّطَ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ يُعَاوَنُهُمْ وَيَخْرُجُ فِي الْجِهَادِ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَيُنْسَبُ النِّصْرَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ الْمُقَاتِلُ بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَقُولُ لِمَنْ عِنْدَهُ: ضَعْنِي فِي مَوْضِعِ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ بَيْنَ فِكَيْهِ، فَيَقُولُ: تَرَى هَذَا الْمَوْضِعَ هُوَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَقُولُ: وَاللَّهِ! لَقَدْ صَنَعَ مَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ، وَقَدْ دَلَّهُ عَلَيْهِ.

السَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَرَى أَنَّ الْقَبُولَ قَدْ وُضِعَ لَهُ فِي الْأَرْضِ بِمَحْضِ الْمُتَابَعَةِ صِرْفًا.

تَأَمَّلْ فِي هَذَا: أَنَّهُ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى غَازَانَ.. ذَهَبَ إِلَيْهِ مَعَ الْأَعْيَانِ وَالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الدِّيْنِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمُتَبَوِّعَةِ، فَذَهَبَ فِي كَوْكَبَةٍ عَظِيمَةٍ، فَلَمَّا رَأَى غَازَانَ قَادِمًا قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: مَنْ هَذَا السَّيْخُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي قَلْبِي؟

وَجَاءَ الشَّيْخُ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ غَازَانَ وَحَاشِيَّتِهِ وَعَسْكَرِهِ وَجُنْدِهِ - وَهُوَ  
عَسْكَرٌ تَتَلَاطَمُ مِثْرَامِيَّةٌ صُفُوفُهُ بِحَدِيدٍ فِي حَدِيدٍ -، وَوَقَفَ الشَّيْخُ شَامِخًا كَالطَّوْدِ  
بَلْ كَمِثْلِهِ الطَّوْدُ!

تَأَمَّلْ فِي الْقَبُولِ وَالْمَنْعِ فِي الْقَبُولِ وَالْبُغْضَاءِ، تَأَمَّلْ أَيْنَ هُوَ وَكَيْفَ يَكُونُ  
هَذَا الْأَمْرُ الْجَلِيلُ!

وَقَفَ فَكَانَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ، فَقَالَ لَهُ: يَا غَازَانُ! إِنَّ أَبَاكَ وَجَدَكَ كَانَا كَافِرَيْنِ وَلَمْ  
يَصْنَعَا مِثْلَ مَا تَصْنَعُ وَأَنْتَ تَدْعِي الْإِسْلَامَ!

قَدَّمَ لِهَذَا الْوَفْدِ مَا هُوَ حَنِيدٌ مَشْوِيٌّ، فَمَدَّ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ وَقَبَضَ الشَّيْخُ يَدَهُ،  
فَقَالَ: لِمَ لَمْ تَأْكُلْ!؟

قَالَ: وَكَيْفَ أَأْكُلُ وَهَذِهِ أَشْيَاءٌ غَضِبْتُمُوهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْصَجْتُمُوهَا  
عَلَى الْأَشْجَارِ الَّتِي قَطَعْتُمُوهَا مِنْ أَشْجَارِ الْمُسْلِمِينَ!

وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ وَقَبَضَهَا رَحِمَ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذَ يَعْظُهُ وَيُذَكِّرُهُ، وَالْآخِرُ يَتَطَامَنُ لَهُ  
حَتَّى صَارَ لَا شَيْءَ، وَالشَّيْخُ شَامِخٌ كَالطَّوْدِ بَلْ كَمِثْلِهِ الطَّوْدُ، ثُمَّ قَالَ غَازَانُ  
لِلشَّيْخِ: ادْعُ لِي!

قَالَ: نَعَمْ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ غَازَانُ قَدْ خَرَجَ جِهَادًا فِي سَبِيلِكَ وَابْتِغَاءَ  
مَرْضَاتِكَ فَوَفَّقَهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَافْعَلْ بِهِ وَافْعَلْ!

فَكَانَ الشَّيْخُ يَدْعُو عَلَيْهِ وَهُوَ يُؤْمِنُ!

وَالْفُقَهَاءُ يَجْمَعُونَ ثِيَابَهُمْ مَخَافَةَ أَنْ يُقْتَلَ فَيَطْرُسَ عَلَيْهِمْ بِدَمِهِ - كَمَا قَالُوا -،  
يَجْمَعُونَ ثِيَابَهُمْ، فَلَمَّا صُرِفُوا مُعَزَّزِينَ لِأَجْلِهِ - بِفَضْلِ رَبِّهِ - قَالُوا: وَاللَّهِ! لَا نَمْشِي  
مَعَكَ فِي طَرِيقٍ، كِدْتَ تُهْلِكُنَا!  
قَالَ: أَفْعَلُوا.

فَسَارُوا جَمِيعًا فِي طَرِيقٍ وَسَارَ وَحْدَهُ فِي طَرِيقٍ، فَمَا دَخَلَ دِمَشْقَ إِلَّا وَقَدْ  
تَلَقَّتْهُ الْعَامَّةُ وَمَنْ بَقِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ، فَدَخَلَ فِي مَوْكِبٍ وَلَا كَمَوَاكِبِ الْمُلُوكِ،  
مَرْفُوعًا عَلَى هَامَاتِ الْقُلُوبِ!  
وَأَمَّا هُمْ فَقَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ قُطَاعُهُ، قَالَ: فَسَلَّحُونَا<sup>(١)</sup> حَتَّى دَخَلْنَا  
دِمَشْقَ عَلَى حَالَةٍ لَا تَسْرُ.

أَيْنَ الْقَبُولُ وَأَيْنَ الْبَغْضَاءُ هُنَا؟!

تَأَمَّلْ!

كُنْ عَلَى الْحَقِّ وَلَا تُبَالِ، وَحَصِّلْ مَحَبَّةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَسْبَابِهَا! (\*).



(١) (سَلَّحَ الشَّخْصَ): عَرَى بَعْضَ جَسَدِهِ، جَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ جَزْئِيًّا، (سَلَّحَهُ قُطَاعَ الطُّرُقِ):  
سَلَبُوا مَا مَعَهُ مِنْ مَتَاعٍ.

(\* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٩ هـ | ١٨-٧-

## جُمْلَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ

«إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ هِيَ أَجَلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، وَأَفْضَلُ فَضِيلَةٍ تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا يَسَّرَ لَهُ الْأَسْبَابَ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَوَفَّقَهُ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْوِدَادِ»<sup>(١)</sup>.

«مَحَبَّةُ الرَّبِّ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَعَطَائِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَثَرُ الْمَحَبَّةِ وَمُوجِبُهَا؛ فَإِنَّهُ لِمَا أَحَبَّهُمْ كَانَ نَصِيبُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ أَمَّ نَصِيبٍ»<sup>(٢)</sup>. (\*)

وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: التَّوْفِيقُ؛ فَقَدْ قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>: «قَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ: أَلَّا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَأَنَّ الْخِذْلَانَ: أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٨٣).

(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «خُلَاصَةُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (المُحَاضِرَةُ: ٤٨)، الْأَرْبَعَاءُ ٢٢ مِنْ شُعْبَانَ

١٤٤١ هـ | ١٥-٤-٢٠٢٠ م

(٤) «الفوائد» (ص: ١٤١).

وَهَذَا الْمَعْنَى يَتِمُّ مَا أَكْبَرَ مَا يَتِمُّ فِي تَحْقِيقِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي حَدِيثِ الْأَوْلِيَاءِ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ» (١).

فَهَذِهِ الْكِفَايَةُ، وَالْأَيُّ يَكِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَبْدَ إِلَى نَفْسِهِ هِيَ ثَمَرَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ، كَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الْعَظِيمِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ بِهَذَا الْمَعْنَى الْجَلِيلِ أَمَرَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَالبَزَّازُ، وَالحَاكِمُ وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ»، وَالحَقُّ أَنَّهُ: حَدِيثٌ حَسَنٌ - قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا رَوَى ذَلِكَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «يَا فَاطِمَةُ! مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أَوْصِيكَ بِهِ؟ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: - فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ -: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا» (٢).

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا السُّؤَالَ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ فِي أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي سُؤَالِ الْكِفَايَةِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْأَيُّ يَكِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَبْدَ إِلَى نَفْسِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبْرِيِّ» (١٠٤٠٥)، وَحَسَّنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»

(١٠٧٥٩) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَهَذَا هُوَ التَّوْفِيقُ.. التَّوْفِيقُ هُوَ أَلَّا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا»؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وُكِّلَ إِلَى نَفْسِهِ وُكِّلَ إِلَى ضَعْفٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِذَا كَفَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَرَّ نَفْسِهِ فَقَدْ أَقَامَهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

النَّبِيُّ ﷺ -لِعِظَمِ هَذَا الْأَمْرِ، وَلِكِبِيرِ شَأْنِهِ- دَلَّنَا عَلَى سُؤَالِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ إِيَّاهُ: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا».

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -سُبْحَانَهُ- إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدَ كَفَاهُ أَمْرَ نَفْسِهِ، كَمَا بَيَّنَّ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَهَذِهِ مَنَحٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدَ لَمْ يَكِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا -كَمَا قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-

التَّوْفِيقُ: أَلَّا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَالْخِذْلَانُ: أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ! وَلَا يُمَكِّنُ أَلَّا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ وَهُوَ يُغْضُكَ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدَ جَاءَ هَذَا الْأَمْرُ بِالْكَفَايَةِ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى النَّحْوِ الْمَوْصُوفِ فِي كَلَامِ رَبِّنَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الصَّحِيحِ (\*).



(\*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٩ هـ | ١٨-٧-



## سَعْيُ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ فِي تَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ

عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَظَلُّ فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهُ نَبْتَةٌ طَافِيَةٌ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، تَعْلُو بِهِ مَوْجَةٌ وَتَسْفُلُ بِهِ أُخْرَى، وَتُسِيرُهُ الْأَمْوَاجُ أَيْنَ سَارَتْ وَأَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ فِي نَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ؛ وَلَكِنَّهُ هَكَذَا يَسِيرُ حَتَّى تَرُسُو بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ!

وَأَمَّا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ بِأَسْبَابِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِتَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيُثْمِرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ، وَيُبْعِدُ اللَّهُ عَنْهُ الْخِذْلَانَ، وَلَا يَكِلُهُ إِلَّا إِلَى نَفْسِهِ رَبَّنَا الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَأَنْ يُعِيدَنَا مِنْ خِذْلَانِهِ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (\*)



(\*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبِ ١٤٢٩ هـ | ١٨ - ٧ -



## الفهرس

- ٣ ..... مُقَدِّمَةٌ
- ٤ ..... إِبْتِثَاتُ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
- ٧ ..... مَنْزِلَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ لِعِبَادِهِ
- ١٠ ..... السَّعْيُ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ
- ١١ ..... لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ!
- ١٧ ..... أَعْظَمُ سُبُلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٢٢ ..... جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ
- ٢٨ ..... مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ
- ٣٦ ..... مِنْ سُبُلِ الْفَوْزِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ: الْإِحْسَانُ وَالْعَدْلُ وَالتَّقْوَى
- ٤٣ ..... مِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ: التَّوْبَةُ وَالطَّهَارَةُ
- ٤٥ ..... مِنْ سُبُلِ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ: الْجِهَادُ وَالتَّلَاحُمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٤٧ ..... مِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ

- ٥٤ ..... جُمْلَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ
- ٥٧ ..... سَعْيِ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ فِي تَحْصِيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ
- ٥٩ ..... الْفَهْرَسُ

